

الهدم الذاتي لمساكن
الفلسطينيين في القدس:
جريمة احتلالية مضاعفة بحق
الإنسانية

الهدم الذاتي لمساكن الفلسطينيين في القدس: جريمة احتلالية مضاعفة بحق الإنسانية

دراسة خاصة بمناسبة يوم الموئل العالمي

إعداد

مركز أبحاث الأراضي

القدس - فلسطين

بقلم:

جمال طلب العملة

مدير عام مركز أبحاث الأراضي

هبة الوحوش

منسقة قسم الانتهاك

النشر في القدس، فلسطين بتاريخ النشر: 5 تشرين الأول/أكتوبر 2020م
صورة الغلاف: بلدية القدس تجبر الأب على هدم منزله بيده، المصدر: مركز أبحاث الأراضي.

Arab Studies Society
Scientific – Cultural
Land Research Center
Jerusalem



جمعية الدراسات العربية
علمية - فكرية
مركز أبحاث الأراضي
القدس

توطئة:

لوحث شذى لزميلاتها في المدرسة وهي تركض عائدة للبيت، يقرص معدتها الجوع وتعلم أن أمها ستطبخ لهم اليوم المقلوبة التي تشتهي، فوالدها اليوم لن يذهب للعمل بسبب عيد العرش اليهودي، قالت لنفسها سيتلقيني أبي حال وصولي البيت في حضنه ففي الصباح عندما خرجت للمدرسة كان يغط في نومه.. آآه كم أحبك يا أبي، وكم أتمنى لو كان عمك قريب وغير مرتبط بورشات العمل لدى الاحتلال، سألته يوماً : لماذا تعمل عند اليهود؟؟؟ ابتسم وقال : وهل لي عمل آخر؟؟ أنا عامل بناء وليس لي فرص أخرى، و.. تنهد.. قلتُ له يومها : عندما أكمل تعليمي سأعمل مشروعاً كبيراً وأجعلك المدير العام للمشروع... ضحك وقال: وأنا سأظل أنحت الصخر حتى تحصلين على أعلى الشهادات... ما أروعك بابا فأنت أمني في الحياة وأنت مثلي الأعلى...

توقفت شذى عند مفرق الشارع بانتظار سيارة مسرعة، ثم قطعت الشارع وانحرفت لليمين باتجاه طريق عين اللوزة - سلوان وأسرعت خطأها باتجاه البيت المختبئ في فرع جانبي خلف شارع العين، مرّت ببيت جيرانهم فشاهدت جارتهم أم محمد تقف ضاربة كف على كف، خافت من منظرها فقد كانت عيناها متعلقة بشذى،.. "مرحبا خالتو" قالت شذى، بقي وجه الجارة مكفهراً وتمتمت "كان الله في عونكم"!!!.. استغربت شذى لكنها لم تهتم واصلت السير صعوداً وبدأ العرق يتصبب من جبينها، سرحت شذى قليلاً وقالت في نفسها: يجب أن آخذ حماماً قبل الغداء... وتبسمت بفرح فقبل أن ييني لهم والدها الغرف الإضافية للبيت غرفتي نوم ومطبخ وصالة، كانوا يستخدمون غرفة واحدة قديمة من زمن جددها، حينذاك كانوا يستحمون مرة واحدة في الأسبوع في "اللكن" ويسخنون الماء على الغاز..

تنهدت شذى تنهيدة فرح وقالت لنفسها : مضت تلك الأيام الصعبة لحال سبيلها فأنا الآن لدي حمامي الخاص في غرفتي الخاصة وأستحم في كل يوم ومتى ما شئت ولدينا ماءً ساخناً من الحمام الشمسي، ما أعظمك يا أبي لقد جعلني أختار معه حتى لون البلاط وأثاث الغرفة.. سريري ومكتبي الصغير ورف الكتب قال لي يومها: من هذه الغرفة ستخرج للكون عالمة فلسطينية مشهورة أسمها شذى.. احتقلنا يومها بسعادة لا توصف.



بلدية القدس تجبر والدها على هدم منزله وابنته تراقب. المصدر: مركز أبحاث الأراضي.

أقتربت شذى من فناء البيت فإذا بعدد من الجيران يقفون وينظرون بأسى والدموع في عيونهم، وجارتهم أم سلامة تصرخ: "حسبي الله على إسرائيل وإللي جابها علينا"، فجأة.. تحجرت شذى وتوقفت كأنها في كابوس حلم ثقيل، مشهد صعقها وجمد الدماء في عروقها، حاولت الإقتراب لم تستطع تحريك قدميها، حاولت الصراخ فلم يخرج صوتها، لم تعد تسمع أصوات الناس المتجمهرين.. لم تصدق ما ترى..

والدها يهدم في بيتهم الإضافي الجديد وغرفتها أصبحت كومة من الردم، والدتها تبكي بصمت وأخفت وجهها بكلتا يديها عندما لمحت إبنتها !!! ووالدها يضرب بمعوله بعنف شديد وبكل قوته !!! أدار ظهره لها عندما رآها وواصل الهدم بعنف أشد !!!

يا إلهي.. ماذا يحدث؟؟ وما الذي جرى؟؟ متى أغضبته لينتقم مني ويهدم غرفتي؟؟؟ هذا ليس أبي، أبي لا يفعلها، هذا شخص آخر شرير لا أعرفه.. يا إلهي ما لي أشعر بثقل الجبال على ظهري تذكرت الحقيبة أنزلتها نظرت إليها فأنا لا أعرفها !! من أين جاءت لظهري؟! تكاد تخنقني، قذفتها بعيداً عني كشيء كرهه يتربص بي.. ألقيت بحقيبي وانهارت كل أحلامي وشعرت بالسواد يحيط بي من كل جانب، المرار في حلقي، ورجل غريب يهدم بيتي.. أصابني فزع شديد انسحبت بصمت وهربت الى حيث شجرة البلوط في سفح الجبل على أرض الثوري، سأخبتني داخل قشرة بلوط.. علّ طيراً يلتقطني ويأخذني إلى حيث لا أدري...

هنا تنتهي قصة شذى، وفي كل يوم هناك أكثر من شذى تذرف الدمع وتفقد الأمل وتتبخر من الحلم إلى حيث ضياع ليس له قرار...

جريمة الهدم الذاتي... ابتزاز وإذلال !!!

سيكتب التاريخ يوماً أن جرائم الاحتلال الإسرائيلي بحق الشعب الفلسطيني لم تكن مسبقة في كل عصور الظلام منذ نشأة الخليقة حتى القرن الحادي والعشرين قرن التشدد بحقوق الإنسان.

فبعد احتلال الأرض الفلسطينية وهدم مدن وقرى ومحوها من الوجود، وطرد أصحابها الأصليين منها وتهجيرهم عنوة، وبعد قتل المدنيين الفلسطينيين واستباحة دمائهم صباح مساء، وبعد اعتقال حتى الأطفال والمسنين، وهدم البنايات السكنية فوق ساكنيها، وبعد سرقة التراث والهوية وحتى العادات والتقاليد والفلكلور والأكلات الشعبية...

بعد كل ذلك... تفتق العقل الصهيوني الشرير عن أسلوب تهديم لروح الإنسان الفلسطيني وهزيمة حقه في الحياة سعياً خلف إذلاله وقتل نخوته وكرامته... بإجبار أصحاب المساكن غير المرخصة من الفلسطينيين بهدم بيوتهم بأيديهم.

هذا الأسلوب البشع الذي استشرى في القدس وها هو يتمدد لمحافظة الضفة الغربية.

ولعل عقدة اليهود في التاريخ الذين هدموا بيوتهم بأيديهم ما زالت تلطخهم، فما هم يسعون اليوم وبكل سادية لتطبيقها على الفلسطينيين عنوة.

فالفلسطيني الذي يضطر للبناء بدون ترخيص لانعدام أملة بالحصول على رخصة من هذا الاحتلال المجرم يتعرض للهدم بكل قسوة وسادية وابتزاز من قبل أجهزة الاحتلال.

لكن أن يجبروا صاحب المنزل رب الأسرة على هدم منزله بيده... ويجعلوه يتشرب المذلة قطرة قطرة مع كل حبة رمل تتهار من منزله... أن يهدم مأوى أطفاله أمام أعينهم وهو الذي يشكل في نظرهم رمز الأمان...! أي مهابة تبقى للوالد في نظر أبناءه وأسرته وهم يرونه -يعريهم- لصقيع الشتاء وحر الصيف؟!... وهو يلقي بخصوصياتهم وأحلامهم إلى قارعة الطريق...

لكن بالمقابل فهذا الأب المكلوم أصبح على مفترق بين أن يهدم مسكنة بيده ويخسر بيته ومعه شيئاً من روحه، أو أن يخسر بيته ويضيف لذلك غرامات هدم الاحتلال لبيته والتي تتجاوز تكاليف البيت، حيث سيدفع للجيش والحراس والعمال ومقاول الهدم ولكلب الحراسة، وعليه أن يقوم بعد ذلك بإزالة الركام وإلا سيتغرم مجدداً.

فما هو الهدم الذاتي :

تعريف :

هو أن يقوم صاحب المنشأة "مجبراً" على تنفيذ عملية هدم مسكنه أو منشأته بنفسه بصمت، وهذا النمط من الهدم كان يتم بصمت في الخفاء دونما إعلام، يتم في الظلام حرجاً وخجلاً في أن يصرح المواطن بأنه "خرب بيته أو منشأته بيده. رغم أن أعداد حالات الهدم هذه كثيرة إلا أنها اليوم في ازدياد مما دفع المواطنين ضحايا الهدم "الإجباري الذاتي" بالتصريح عنها وفضحها.



بلدية القدس تجبر مواطناً فلسطينياً آخر على هدم منزله. المصدر: مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية "شمس"

كيف يتم إجبار المقدسي على هدم بيته !؟ :

يستهدف هذا النوع من الهدم أهالي القدس المحتلة ويعتبر من الخروقات الصارخة للحق في السكن وجريمة في حق الإنسانية لا يقبلها أي منطق. فذريعة الاحتلال دوما حين إصدار هذه القرارات ... "البناء بدون ترخيص"...

(بيتك قائم بدون ترخيص فهو غير قانوني وعليك هدمه وإزالته في أقرب فرصة، وأن تقوم بتصوير البناء بعد هدمه وتسلمها إلى قسم التفتيش عن البناء والتنظيم في البلدية، وعليك تحديد تاريخ كسقف زمني تنفذ فيه هدم بيتك أو الجزء المخالف منه - هذا التاريخ يعتبر خطأ أحمر لا يمكن تجاوزه أو تأجيله - وفي تاريخ تحدده البلدية لاحقاً ستعقد محكمة البلدية للشؤون المحلية للنظر في عدم تنفيذك قرار الهدم وستفرض عليك غرامة مالية، وستقوم البلدية بهدم وإزالة بيتك



حجرت بلدية القدس السلطان بشير على هدم منزله بينما ينظر ابنه.. المصدر: Eye on Palestine

على نفقتك أي انك ستدفع كافة تكاليف تنفيذ قرار
الهدم إلى البلدية !!!، وإذا لم تدفع ستُسجن إلى
حين دفع كل ما هو مطلوب منك)

الكثير من المقدسيين - لا سيما الفقراء منهم -
يضطرون لهدم مساكنهم بأنفسهم لتقليل الخسائر
الناجمة عن هدم الاحتلال وغراماته غير المحدودة.

نموذج صارخ :

ولعل المقدسي : خالد محمود الخالص الساكن في بيت قديم ورثه عن والده في عين اللوزة من سلوان
جنوبي المسجد الأقصى والذي لم يعد يتسع لأسرته، فأقدم على إضافة بناء تكميلي بمسطح حوالي
90 م² من الطوب وبأقل التكاليف الممكنة لفقر حاله وقد كلفه البناء حوالي \$ 20 ألف دولاراً
أمريكياً، وطبعاً أنشأه بدون ترخيص لأن بيتهم القديم قائم قبل الإحتلال وغير مسموح البناء عليه أو
الإضافة إليه وجميع الحي السكني يقع في منطقة غير مصنفة حسب المخطط الهيكلي لبلدية
الإحتلال - بلدية القدس- !!!!!

فماذا فعلت بلدية الإحتلال مع هذا الرجل : تم تغريمه بمبلغ \$ 6000 دولاراً أمريكياً، وأصدروا بحقه
قراراً بالهدم الذاتي وإلا سيهدمون هم بيته على نفقته. عندما بحث التكاليف المتوقعة للهدم الذي قد
تتفذه بلدية الإحتلال تبين أنه سيتجاوز مبلغ \$60 ألف دولاراً أمريكياً أي ثلاثة أضعاف تكاليف
البناء المستهدف.!!!

فأصبحت الخيارات المُرّة أمامه كما يلي :

• **الخيار الأول :** أن يرفض الهدم الذاتي فيخسر الجزء الإضافي من البيت (\$20000) ويتصدع
البيت القديم وقد ينهار ولا يمكن العودة إليه، ويخسر مبلغ \$ 60 ألف دولار أمريكي فوق خسارة
ال \$ 6000 دولارا غرامة البناء. بمعنى ستصبح خسارته على الأقل حوالي \$ 86 ألف دولارا
أمريكياً.

• **الخيار الثاني :** أن يقوم هو بهدم الجزء المضاف لبيته وقيمته (\$20000) بالإضافة للغرامة
وقيمتها (\$6000)، مع المحافظة على البيت القديم، وتكون مجموع خسارته في هذا الخيار
حوالي 26 ألف دولارا أمريكياً.

لذا قرر السيد خالد إتخاذ الخيار الثاني مرغماً ونفذه بعيون باكية وقلب دامي.



جد أقارب عائلة شالدة الفلسطينية يشاهد الحفار وهو يهدم منزل العائلة في الطور بالقدس الشرقية. تقوم السلطات الإسرائيلية بانتظام بهدم منازل فلسطينيين في أراضيهم إذا كانت تقتقر إلى تصاريح البناء. (أ ف ب)

ماذا يفعل الاحتلال في حال عدم قيام المالك الفلسطيني بهدم مسكنه بيده؟؟

- يقوم الاحتلال بالهدم دون إخطار وفي وقت قريب ومفاجئ، غالباً في ساعات الفجر الأولى قبل بزوغ الشمس.
- يحاصر جيش الاحتلال وشرطته العسكرية الحي السكني الذي يحوي المسكن المستهدف بقوات مدججة، ويفرض منعاً للتجوال ويحتجز سكان الحي في مساكنهم لحين انتهاء عملية الهدم.
- يلقي الكثير من قنابل الغاز السام والرصاص المغلف بالمطاط والمعدني اتجاه أي مواطن أو جيران يحاولون الخروج من منازلهم أو التجمهر أو وقوفهم على أسطح منازلهم المجاورة.
- يمنع الصحافة ويمنع التصوير ويصادر أي كاميرا أو جهاز خلوي يستخدم لتصوير عملية الهدم ويعتقل من يقوم بذلك.
- يتم تكليف شركة هدم خاصة بالقيام بكل ما يطلبونه منهم - سنأتي على تفاصيل ذلك لاحقاً.
- يتم الإيعاز لسائقي الجرافات بتخريب مساحات أكبر للمنطقة يتجاوز هدم المسكن المستهدف، مما يؤدي إلى تصدع مساكن الجيران ومحلاتهم، وتقطيع شبكات المياه أو الهاتف أو الكهرباء وتدمير الطريق المؤدية للسكن، وهذه أضرار تُعقد حياة وظروف الحي السكني برمته، وتكبدهم خسائر وغرامات مستقبلية.

يقوم الاحتلال أثناء حملة الهدم بما يلي:

- 1- استئجار مقاول هدم، ومعه عمال لتفريغ المسكن، وكل ذلك يقيد على نفقة صاحب المسكن.
- 2- تكليف قوة عسكرية لمرافقة المقاول لحمايته ومعها كلاب بوليسية (وهذه أيضاً لها تكاليف عالية تقيد على صاحب المسكن المستهدف بما فيها أثمان قنابل الغاز والصوت والرصاص المطاطي التي تستخدم أثناء عملية الهدم)
- 3- أثناء عملية تفريغ المسكن من قبل عمال شركة الهدم تتم عملية تحطيم للأغراض والأثاث والأجهزة بصورة متعمدة.
- 4- الكلاب البوليسية وبإيعاز من القوة العسكرية تقوم بالاعتداء على المواطنين الذين يقتربون خاصة أصحاب المسكن نفسه.
- 5- غالباً ما يتم ضرب أفراد الأسرة - رداً على غضبهم واحتجاجهم - ويتم اعتقال بعضهم ولا يفرج عنهم إلا بدفع غرامات أخرى وبكفالات باهظة.

يقدمون للأسرة فاتورة هدم تحوي التكاليف التالية:

- تكاليف المقاول والجرافات وأجور العمال.
- تكاليف الحراسة وكافة مستلزماتها العسكرية.
- تكاليف استئجار كلاب الحراسة.
- تكاليف مخاطرة.
- أمر بإزالة الركام (الطمم) خلال 48 ساعة وإلا سيتم فرض غرامة تتصاعد يومياً إذا لم ينفذ المالك ذلك.
- غرامة مالية عقابية تفرض على صاحب المسكن لعدم انصياعه لأمر بلدية الاحتلال بهدم مسكنه بنفسه.

الهدم الذاتي في القدس بالأرقام:

وثق مركز أبحاث الأراضي خلال العشر سنوات الأخيرة 246 مسكناً مقدسياً قد تم هدمها بأيدي مالكيها مرغمين تحت وطأة التكاليف الباهظة وعجز المالكين عن مواجهة هذه السياسات السادية، وقد أثر ذلك على ما يزيد عن 1332 فرداً أصبحوا بلا مأوى منهم 670 طفلاً. يوضح الجدول التالي عدد المساكن التي أُجبر أصحابها على هدمها حسب السنوات في شرقي القدس:

السنوات	عدد المساكن	المسطح بالمترب المربع	عدد أفراد الأسرة	عدد الأطفال
2010	13	827	102	61
2011	15	700	88	56
2012	14	984	92	53
2013	13	822	107	64
2014	11	605	88	31
2015	6	380	31	14
2016	28	1999	125	56
2017	17	1325	90	55
2018	20	1976	125	65
2019	39	3045	174	82
2020	*70	5040	310	133
المجموع الكلي	246	17703	1332	670

المصدر: توثيق ميداني مباشر - قسم مراقبة الانتهاكات الإسرائيلية - مركز أبحاث الأراضي - جمعية الدراسات العربية، للسنوات (2010 - 2019).
* إحصائية الهدم منذ 01/01 - 2020/09/20.

يوضح الرسم البياني عدد المساكن المهدومة – هدماً ذاتياً - منذ العام 2010 لغاية 2020/09/20



هدف الاحتلال من استخدام هذا النوع من الهدم في القدس المحتلة:

- تهجير الفلسطينيين من القدس المحتلة لتصبح ذات غالبية يهودية.
- تُظهر أن الفلسطينيين يهدمون بيوتهم بأنفسهم اعترافاً منهم بخطئهم.
- يبرئ الاحتلال نفسه - شكلاً - من جريمة الإخلاء والهدم.
- يوفر الاحتلال على نفسه تعقيدات إجراءات ومواجهات واحراجات الهدم.
- التأخر في تنفيذ الهدم الذاتي يشكل مصدر دخل مربح للاحتلال (إصدار مخالفات بعشرات آلاف الشواقل).
- تخفي العدد الحقيقي لأعمال الهدم الصامت "الذاتي".
- تترك آثار نفسية صعبة على الأسر الفلسطينية.
- إسقاط عقدة يهودية تاريخية مزمنة حيث لطخوا جبين التاريخ بأنهم (يخربون بيوتهم بأيديهم).

الآثار السلبية التي تلحق بالأسرة عند تنفيذ عملية الهدم الذاتي:

يعد الهدم الذاتي من أشد أنواع الهدم ألماً وقهراً... ليس كالهدم الذي ينفذه الاحتلال... فعند قيام الاحتلال بهدم المسكن فالأسرة تبقى متماسكة حاقدة على الاحتلال خاصة الأطفال... بينما عندما ينفذ أمر الهدم رب الأسرة ويهدم المسكن الذي يأوي أسرته تُظهره أمام أبنائه بأنه ضعيف لا يحميهم ولا يوفر لهم الأمن والأمان مما يجعل الأسرة مفككة تشعر بعدم الاستقرار (قرب الأسرة الذي من المفروض أن يحميهم ويبني لهم مأوى يلائمهم يقوم بهدم مأواهم)... فلذلك يحبط الأطفال نفسياً ويعيشون حياة ممزقة أساسية تتعدم فيها الثقة بالأسرة والمجتمع وبالتالي الثقة بالمستقبل، بالإضافة إلى ذلك الخسائر المادية التي سيتكبدها المواطن، وشقاء عمره كله يذهب هدرًا.

خلاصة :

عندما يراجع الباحث المعاهدات والاتفاقيات الدولية ومواثيق حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني.. لا يجد نصاً صريحاً يناقش أو يقدم فتوى قانونية وحقوقية بخصوص جريمة إجبار مواطني الأراضي الواقعة تحت الاحتلال على هدم مساكنهم بأيديهم... علماً بأن هذه المعاهدات قد جرّمت انتهاكات أدنى من ذلك بكثير، والسبب هو أن من صاغوا هذه المعاهدات لم يكن ليخطر ببالهم هذا الصنف من جرائم قد يقوم بها أي احتلال مهما كان جبروته وساديته، حيث لم يسجل التاريخ مثل هذه الجرائم الغريبة والتي لم تخطر على بال أعتى الشياطين.

لذلك فإننا من فلسطين ومن خلال هذه الدراسة ندعو خبراء القانون الدولي والإنساني ونشطاء حقوق الإنسان في العالم بدراسة هذه الجريمة والقيام بحملة دولية من أجل تجريمها ومعاقبة أي دولة إحلال تقوم بها.

وتأكدوا أن العالم إن ظل صامتاً على هذه الجرائم.. سيكون كأنه يدفع شعب فلسطين نحو اليأس، واليأس وحش كاسر لا يقبل شعب فلسطين أن يكون كذلك لأنه شعب حضارة إنسانية عريقة ومتجددة.



نام والد الأطفال ، محمود فواقة ، بهدم المنزل الإضافي بنفسه ، لتجنب تكبد تكلفة أعلى بكثير لهدم قامت به السلطات الإسرائيلية. (المصدر: / DCIP
(Ivan Karakashian)